بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

إن العداوة بين الإنسان والشيطان، ليست عداوة بالمعنى التقليدى أو الشخصى للعداوة بل هى عداوة إيمانية، فهى ليست عداوة بيننا وبينه لأنه ظلمنا فقط أو اعتدى علينا بغير حق فقط، ولكن هناك معنى أعمق من ذلك بكثير آلا وهو إلاندهاش بل والإرتياع والإرتعاش الذى يملك علينا أفئدتنا ومشاعرنا حينما نستحضر ذلك المشهد الرهيب فى بداية الخلق. حيث نرى اعتراض وكبرياء مخلوق ضئيل فقير حقير على رب العالمين! وأين؟ هناك فى الملأ الأعلى وفى شبه المكاشفة والحضور، حيث يعاين اللعين الملائكة بوضاءتهم ونورانيتهم، ويرى النيران ودار السلام ويستحضر عظمة وجلال وجبروت الخلاق العليم رب الأنام.. هنا فى هذا المقام يتم الإعتراض والكبرياء، ولا شك أنها الضئالة والضحالة، ليس بمعناهما التقليدى أيضا لأنه فِي هذا المقام: الكل ضئيل. الكل صغير. الكل فقير. الكل عبد. الكل فرد ﴿**إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا**﴾ [مريم: ٩٣ – ٩٥].

ولكنها الضئالة بمعناها الأسوأ حيث تعنى السفالة والحقارة والخسة والندالة ولو أردنا أن نستحضر كل معانى الصغار وكل قواميس الاحتقار ما استطعنا أن نوَّفى هذا اللا شىء ما يستحقه. ومن هنا يندلع العداء ويلمع ويتوهج ويضطرم. لأنه بغض فى الله. أى أننا نبغضه لسوء أدبه وفعله وخبث طويته. مع من؟ مع الله رب العالمين! وأين؟ فى الملأ الأعلى! ومتى؟ فى لحظة وآن الحضور وليس الغفلة. مما يظهر ويجلى ويكشف حقيقة الجحود والنكران والخسة والكفران واستحقاق الصغار والخسران والذم والدحر فى الدنيا. والبطشة الكبرى يوم القيامة.

وهو أيضا ما يستنهضنا ويستثيرنا نحو إظهار حقيقتنا الطيبة التى خلقها رب العالمين فينا وعلمها منا حين قال للملائكة: ﴿**إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ٣٠].

آلا وهى العبودية الكاملة والمعرفة الشاملة والحب العميق والفقر المبين لخالقنا العظيم. وذلك بترك كل ما عداه والزهد فى كل ما سواه. والإستعلاء عن الشهوات، وكل ما نهى عنه، وحب كل ما ومن أحبه، والتقرب إليه تعالى بما افترضه. وبغض كل من خرج عن طاعته وحاد عن عبادته، وبذل الغالى والنفيس فى سبيل نصرته، حتى إذا ما انفرط منا العقد ووقعنا فى معصيته وحقق فينا اللعين موعده، تذكرنا وعلمنا صفات جماله سبحانه السارية فى الوجود، فلذنا بالرحيم واستجرنا بالكريم ليبعث لنا فيوضات غفرانه. فإذا بأقدامنا على طريق الخير والحق تمضى حتى يأتينا اليقين.

ولا ريب أن هذه القضية.. قضية الصراع والعداوة مع رمز الشر الباطن تلفت أنظارنا إلى قضية الصراع مع رمز الشر الظاهر آلا وهم الصهاينة وأشرار اليهود الذين يرتكبون ضدنا كل الشرور والآثام من قتل وتشريد وتجريف وتجويع وسجن بشكل لم يعرف التاريخ له مثيل ومستعينة فى ذلك بأشرار الغرب الذين يقدمون المصالح الشخصية والإنتخابية والعدائية على حقوق الخلق ومصالح الشعوب. وذلك حتى بعث الله عليهم عباداً له أولى بأس شديد من أبناء مصر الأبرار الذين لم يبالوا على أى جنب كان فى الله مصرعهم حتى أذاقوهم وبال أمرهم وجعلوا عاقبة أمرهم خسرا. فى أول الوعدين ﴿ **فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَّفْعُولاً** ﴾ [الإسراء: ٥] وذلك فى العاشر من رمضان السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣م.

ثم رد لهم الكرة وأمدهم بالأموال والبنين ليختبرهم ويختبرنا. فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها.. فعلينا أن نعمل جاهدين وننمى قدراتنا. بل ونسابق الزمن للنهوض واللحاق بركب التقدم والحضارة. حتى تجنى أجيالنا القادمة الثمار ﴿ **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً** ﴾. [الإسراء:٧]

أرأيت إذ وُلد السلام ... فنعوه من قبل الفطام
وضعته أوربا لنا ... ياليت أوربا عقام
طفل برىء ذاق من ... يد أمه كأس الحمام

لهفى عليه ممزق الـ أوصال منتشر العظام
عصفت به ريح الوغى عصفا وغطاه القتام
فمضى شهيداً ما له قبر يزار ولا مقام
ليس السلام بسائد ما دام فى الدنيا حطام

وكذلك مع كل الشرور والآثام التى تقف روح الشيطان من ورائها تعضدها وتدفعها نحو الإنتشار. وذلك حتى تصبح لحياتنا قيمة. ونصبح أصحاب قضية وحملة رسالة فنتعالى عن الغايات الهابطة الدنيا إلى الغايات السامية العليا، وهو ما يختلف كل الاختلاف عما نرى عليه الكثير من شبابنا لا سيما المترفين الأغنياء. الذين لا هم لهم سوى الوصول إلى الشهرة والمال والرفاهية دون عناء أو كفاح يذكر. ولا يشغلون أنفسهم سوى بالغناء والتمثيل. أما التضحية فى سبيل الدين والوطن والمحاولة الجادة نحو إعلاء كلمة الدين وشان الوطن فواد آخر بعيد كل البعد عن غاياتهم:

أمة قد فت فى ساعدها بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب فى غير العلا وتفتدى بالنفوس الرتبا
وتراها والأمور تستهدفها تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى ألعب القوم بها أم بها صرف الليالى لعبا

والله ولى التوفيق

بدر محمود الدمهوجى

سمادون – أشمون – منوفية